الولاية: عموم الولايات

التاريخ: 31. 03. 2017

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبَ وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ

لِنَتَوَجَّهْ بِرَغائِبِنا إلى اللهِ تَعالى

بارَكَ اللهُ لَكُمْ فى جُمُعَتِكُمْ إخوانى الأعِزّاءُ!

الْحَمْدُ للهِ حَمْداً كَبيراً، الحَمْدُ للهِ الذى بَلَّغَنا الأشْهُرَ الثّلاثَةَ التى تَعُمُّ فيها الرَّحْمَةُ. شَعَرْنا لَيلَةَ أمْسِ بِحَماسِ لَيْلَةِ الرَّغائِبِ التى تُبَشِّرُ بِقُدومِ شَهْرِ رَمَضانَ المُبارَكِ. أمّا اليَوْمَ فَنَعيشُ مِنْ جِهَةٍ بَرَكَةَ شَهْرِ رَجَبَ ونَعيشُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرى فَرْحَةَ الجُمُعَةِ التى تُعْتَبَرُ عِيدَنا الأسْبُوعِيّ. عِنْدَما تَأتى هذهِ المَواسِمُ كانَ رَسولُنا الكَريمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يَدْعو اللهَ بِهذا الدّعاءِ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبَ، وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ"[1]. أسْألُ اللهَ تَعالى أنْ يَجْعَلَ رَجَبَ وشَعْبانَ مُبارَكاً على أُمّتِنا والعالَمِ الإسْلامِيّ، ويَجْعَلَنا جَميعاً نَبْلُغُ رَمَضانَ وقدْ تَطَهَّرْنا مِنْ كافّةِ الخَطايا والسَّيِّئاتِ.

إخْوانى الأعِزّاءُ!

فى القُرْآنِ الكَريمِ سورَةٌ عَظيمَةٌ اسْمُها سورَةُ "الانْشِراحِ". الانْشِراحُ يَأتى بِمَعْنى طيبَةِ النَّفْسِ والشُّعورِ بِالفَرَحِ والابْتِهاجِ والسَّكينَةِ فى الصَّدْرِ. سورَةُ الانْشِراحِ نَزَلَتْ فى فَتْرَةٍ عانى فيها رَسولُ اللهِ وصَحابَتُهُ الأمَرَّيْنِ. هَذِهِ السّورَةُ تُخْبِرُنا بِاسْمِ سيدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ أنّ المُؤمِنينَ كافّةً سَوْفَ تَنْشَرِحُ صُدورُهُمْ وتَنْعَمُ بِالسَّكينَةِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ. وتَدُلّنا على سُبُلِ التَّخَلُّصِ مِنَ الأعْباءِ التى أثْقَلَتْ ظُهورَنا وإعْلاءِ شَأنِنا وكَرامَتِنا وشَرَفِنا والتَّغَلُّبِ على الصِّعابِ.

يَقولُ اللهُ تَعالى فى سورَةِ الانْشِراحِ: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ"[2].

إخوانى!

نَتَعَلَّمُ مِنْ آخِرِ آيَتَيْنِ فى سورَةِ الانْشِراحِ وجودَ شَرْطَيْنِ للتَّخَلُّصِ منَ الأعْباءِ التى أثْقَلَتْ ظُهورَنا ونَتَعَلَّمُ طَريقَ انْشِراحِ صُدورِنا ورَفْعِ شَأنِنا وتَحْويلِ العُسْرِ إلى اليُسْرِ. أحَدُهُما هو الامْتِثالُ لِما يَأمُرُنا بِهِ اللهُ تعالى فى هَذِهِ الآيَةِ الكَريمَةِ: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ". وتَأتى هَذِهِ الآيَةُ بِمَعْنى أنْ يَجْتَهِدَ الإنْسانُ ويَكْدَحَ فلا يَقْضى حَياتَهُ

القَصيرَةَ فى أمورٍ لا تَنْفَعُ، وأن لا يُضَيِّعَ عُمُرَهُ الذى هو رَأسُمالِهِ النَّفيسِ هَباءً وسُدىً، وأنْ يَجْتَهِدَ ويَبْذُلَ قُصارَى جُهْدِهِ من أجْلِ البِرّ والإحْسانِ والأعْمالِ الصالِحَةِ ويُحَوّلَ الأرْضَ إلى مَكانٍ قابِلٍ لِلعَيْشِ.

إخوانى الأعزاء!

أمّا الشّرْطُ الثانى الذى نَنالُ بِهِ البُشْرى المَذْكورَةَ فى سورَةِ الانْشِراحِ فهو أنْ نَجْعَلَ رَغباتِنا إلى اللهِ تعالى عَمَلاً بِهَذه الآيَةِ: "وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ". وهذا الأمْرُ يَجِبُ أنْ يَكونَ أكْثَرَ الأمورِ التى يَنْبَغى الوُقوفُ عِنْدَها فى لَيْلَةِ الرّغائِبِ. ويَعْنى ذَلِكَ أنْ نَجْعَلَ رَغَباتِنا وآمالَنا وأهْواءَنا للهِ تَعالى، ونَعْمَلَ ونَجْتَهِدَ ونَكْدَحَ فى سَبيلِ نَيْلِ رِضا اللهِ تعالى، ولَيْسَ فى سَبيلِ نَيْلِ الشُّهْرَةِ والجاهِ والمَنْصِبِ والثّرْوَةِ.

إخْوانى الكِرامُ!

واليَوْمَ نَمُرُّ نَحْنُ المُسْلِمونَ بِأَصْعَبِ فَتَراتِ تاريخِنا، فَتَراتٍ تَضيقُ فيها صُدورُ المُؤمِنينَ، وتَكونُ أَحْوَجَ إلى الانْشِراحِ، والتّخَلّصِ منَ الأعْباءِ التى أثْقَلَتْ ظُهُورَنا وبُلوغِ السّكينَةِ والطّمَأنينَةِ. إنْ كانَ الأمْرُ كَذَلِكَ فَتَعالَوْا يا إخْوانى نَعْمَلْ فى سَبيلِ ذَلِكَ بِعَزْمٍ وإصْرارٍ، ولْنَعِشْ مِنَ أجْلِ رِضا اللهِ لا مِنْ أجْلِ أهْوائِنا وشَهَواتِنا، ولْنَبْذُلْ مَزيداً مِنَ الجُهْدِ فى سَبيلِ الحَقِّ والحَقيقَةِ والعَدالَةِ والبِرِّ والإحْسانِ والإنْسانِيّةِ.

حينَئِذٍ يَشْرَحُ اللهُ تعالى صُدورَنا ويُخَلّصُنا منَ الأعْباءِ الثّقيلَةِ التى تُثْقِلُ قُلوبَنا، ويُطَهِّرُنا مِنْ أدْرانِ الذُّنوبِ والآثامِ، ويُيَسّرُ لنا أُمُورَنا، ويَقينا مِنْ جميعِ الشُّرُورِ التى سَلَبَتْ حُرّيَتَنا، ويَجْعَلُ العُسْرَ رَحْمَةً ويَرْفَعُ شَأنَنا ومَكانَتَنا، ويُعِزُّنا مِنْ جَديدٍ.

إخْوانى!

عِنْدَما أرْسَلَ اللهُ تَعالى موسى إلى فِرْعَوْنَ يَدْعوهُ إلى الهِدايَةِ تَوَجّهَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ إلى اللهِ بِهذا الدُّعاءِ: "رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى"[3]. واليَوْمَ نَتَوَجّهُ إلى اللهِ ونَدْعوهُ كَما دَعا سَيِّدُنا موسى عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ:

اللّهُمَّ اشْرَحْ لنا صُدورَنا ويَسِّرْ لنا أمورَنا واجْعَلْنا مِنَ الذينَ يَعيشونَ ويَتَنَفّسونَ فى سَبيلِكَ!.

اللّهُمَّ لا تَكِلْنا إلى أنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ ولا أَقَلَّ مِنْ ذلك! اللّهُمَّ اجْعَلْ رَغَباتِنا وآمالَنا وأهْواءَنا وَسيلَةً لِلبَحْثِ عَنْ رِضاكَ!.

اللّهُمَّ ارْفَعْ شَأنَنا وأَعِزّ أُمّتَنا الإسْلامِيّةَ مِنْ جَديدٍ!.

اللهُمَّ آمين.

---

[1] مسند أحمد بن حنبل، 1/ 259.

[2] الانشراح، 94/ 1-8.

[3] طه، 20/ 25-26.